

دراسة دلالية للتعجب في ضوء سورة البقرة

(Semantic Study of Wonder in the Light of Surat-ul-Baqarah)

الدكتورة شبانة نذر

الأستاذة المساعدة، بقسم اللغة العربية بالجامعة الإسلامية، بمأولبور.

عرفان قيصر

الباحث بمرحلة الدكتوراة، كلية الدراسات الإسلامية، نمل، إسلام آباد

Abstract

Praise be to God who revealed the Book to his servant and did not make a valuable crook for him to warn of grave misfortune and preach to the believers who do good deeds that they have a good reward, and He revealed it as a guide to people in the darkness of this life, and a light that shines for them the way to the remaining home, and blessings and peace be upon our Prophet Muhammad, his family, companions and those He followed them with kindness. As for after.

This is a scientific article on the topic of "Wonder in the Light of Surat Al-Baqarah" and the importance of this topic to achieve the purpose of this Surah while contemplating it and guiding what it contains. This is because contemplation is only after understanding the meanings and the purpose of each surah is the origin of its meanings which it refers.

Keywords: Wonder, Surat Al-Baqarah, Prophet Muhammad, Misfortune.

المدخل

إن الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، وأنزله هداية للناس في ظلمات هذه الحياة، ونبراساً يضيء لهم الطريق إلى الدار الباقية ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان. أما بعد :

هذه مقالة علمية موضوعها "دراسة دلالية للتعجب في ضوء سورة البقرة" وأهمية هذا الموضوع تكن لي وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال هذه السورة كله، هو تدبره والاهتداء بما تضمنه؛ و التدبر لا يمكنه إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه.

أهمية الموضوع

- (١) أن القرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، كما قال تعالى : ﴿ وانه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾^١ . والتعجب أحد الأساليب العربية التي تكررت كثيرا في القرآن الكريم ؛ وهذا دال على أهمية أسلوب التعجب ، وأثره في تحقيق مراد الله تعالى من عباده .
- (٢) أن التعجب في صيغته ودلالاته وأساليبه ومقاصده له أثر في الفهم والتدبر ، وتحقيق الاعتبار والتفكير .
- (٣) اختلاف أنظار المفسرين في دلالة الآي على التعجب ومقصده ؛ كان باعنا على دراسة هذه الآيات والخلوص إلى نتيجة تقرب هذه الأقوال إلى الرجحان بدلالة القرائن المعبرة عند المفسرين .

تعارف سورة البقرة

اسمها : سورة البقرة ، لأن كلمة " البقرة " مذكورة في السورة . وقال الحافظ برهان الدين البقاعي : تسمى : السنام ، الذرّة ، والزهرء ، والفسطاط .^٢

سبب نزولها وتاريخها

هي مدنية إجماعاً .

وقد ذكر الحافظ برهان الدين البقاعي في كتابه " مصاعد النظر ... " : قال النجم النسفي : ونزلت يوم النحر بمنى في حجة الوداع ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾^٣ وهي آخر آية نزلت . وقال الشمس الأصفهاني : قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : هذه أول سورة نزلت بالمدينة ، ونزلت في مُدَدٍ شتّى^٤ .

عدد آياتها : عدد آياتها مائتان وثمانون و ست كوفي ، وسبع بصري ، وخمس فيما عداها .

اختلافها : إحدى عشرة آية . انفرد الكوفي بعد ﴿الم﴾^٥ ، والشامي بعد ﴿وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^٦ ، والبصري بعد ﴿إِلَّا خَائِفِينَ﴾^٧ ، ﴿قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾^٨ ، والمدني الأول بعد ﴿مَنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^٩ ، والمدني الأول والمكي بعد ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾^{١٠} . والكوفي والشامي والمدني الأخير بعد ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^{١١} . والمدني الأخير والبصري والمكي بعد ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾^{١٢} . وأسقط الشامي ﴿مُضِلِّحُونَ﴾^{١٣} ، والمدني الأول ﴿وَأَتَقُونَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^{١٤} ، والمدني الأخير (في الآخرة من خلاق)^{١٥} .^{١٦}

مقاصدها : المقصود من هذه السورة : إقامة الدليل على أن الكتاب هدى لِيَتَّبِعَ في كل حال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب ، ومجمعه : الإيمان بالآخرة ، ومداره : الإيمان بالبعث ، الذي أعربت عنه قصة البقرة ، التي مدارها الإيمان بالغيب ، فلذلك سميت بها السورة ، وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه السلام ، لأنه في نوع البشر ، ومما تقدم في قصة بني إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق ، وكذا ما شاكلها . لأن الإحياء في قصة البقرة عن سبب ضعيف في الظاهر ، مباشرة من كان من آحاد الناس . فهي أدل على القدرة ، ولا سيما وقد اتبعت بوصف القلوب والحجارة ، بما عم المهتدين بالكتاب والضالين ، فوصفها بالقسوة الموجبة للشقوة ، ووصف الحجارة بالخشية الناشئة في الجملة عن التقوى المناخة للمدد المتعدي نفعه إلى عباد الله.^{١٧}

فضائلها : روى مالك في الموطأ، أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مكث على سورة البقرة ثمانين سنين يتعلمها.^{١٨} أي يتعلم فرائضها وأحكامها، مع حفظه لها.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: يا رسول الله، إننا نقرأ من القرآن فرجو. ونقرأ فنكاد أن نياس - أو كما قال - فقال: ألا أخبركم عن أهل الجنة وأهل النار؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: ﴿الْم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾^{١٩} ، إلى قوله (الْمُفْلِحُونَ) هؤلاء أهل الجنة، قالوا: إنا نرجو أن نكون من هؤلاء، ثم قال: (إن الذين كفروا سواء عليهم - إلى قوله: عظيم)^{٢٠} ، هؤلاء أهل النار، قالوا: لسنا هم يا رسول الله، قال: أجل.

وروى الترمذي في جامعه، وابن حبان في صحيحه من طريقه، عن سهل بن سعد رضي الله عنه، والدارمي عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إن لكل شيء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة، من قرأها في بيته ليلاً، لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليال ومن قرأها نهاراً، لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام.²¹

تعريف التعجب (لغة واصطلاحاً)

التعجب في اللغة : ١ - التعجب هو : " حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب الشيء .. ، والعجب ما لا يعرف سببه " ويقال لما لم يعهد مثله : عجيب^{٢٢} .

٢ - ويراد بالعجب فقال : " النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد "^{٢٣} مما يجعل الإنسان ينكر ذلك لقلة اعتياده^{٢٤}

٣ - والعجب : " روعة تأخذ الإنسان عند استعظام الشيء "^{٢٥}.

٤ - والعجاب : الذي جاوز حد العجب ، مثل طويل وطوال " ^{٢٦} .

٥ - والاستعجاب من الشيء : هو شدة التعجب^{٢٧} .

التعجب في الاصطلاح : قال الجرجاني : " تغير النفس بما خفي سببه ، خرج عن العادة مثله "^{٢٨} . وقد عبر المفسرون بعبارات متقاربة ، منها :

١ - قال الزمخشري : " ومعنى التعجب : تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله "^{٢٩} .

٢ - قال البغوي : " العجب : حالة تعتري الإنسان من رؤية شيء على خلاف العادة "^{٣٠} .

٣ - قال القرطبي : " تغير النفس بما تخفي أسبابه "^{٣١} .

٤ - قال الطاهر بن عاشور : " والعجب : مصدر عجب ، إذا عد الشيء خارجاً عن المألوف نادر الحصول "^{٣٢}

العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي : إن العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ظاهرة جدا ، بحيث لا يمكن أن ينفك أحدهما عن الآخر ، فالتعجب في اللغة هو استغراب شيء ما ، والتعجب في الاصطلاح هو ظهور ذلك الاستغراب على جوارح الإنسان .

ما هو الباعث على التعجب ؟

- ١ - تعظيم الشيء وخروجه عن نظائره : كما جاء في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : " عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل " ^{٣٣} .
- قال ابن الأثير في معنى الحديث : " أي : عظم ذلك عنده ، وكبر عليه ... ، وقيل عجب ربك أي : رضي وأثاب ... ، والأول أوجه " ^{٣٤} ، وعليه يحمل قوله تعالى : { بل عجبنا ويسخرون } ^{٣٥} على قراءة من ضم التاء من القراءة .
- ٢ - غرابة الشيء وقلة دورانه ^{٣٦} .

الدلالة الصريحة على التعجب

التعجب بمعنى (العجب) : يأتي التعجب في سورة البقرة بمعنى الاستغراب ، كما أنه يطلق على حسن المنظر (العجب) فيقال : أعجبني كذا ، أي : راق لي كذا ^{٣٧} .

قال الراغب الأصفهاني بعد تعريفه للتعجب : " ويستعار مرة رافني فيقال : أعجبني كذا أي : راقني . قال الله تعالى : { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام } ^{٣٨} . وقال تعالى : { قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوُحُهَا تَشُرُّ النَّاطِرِينَ } ، أي : تعجب الناظرين " ^{٣٩} .

الدلالة المقاربة للتعجب

جرى القرآن الكريم على أساليب العرب في كلامهم ومخاطبتهم ، ومن ذلك : أن الله ذكر في كتابه أسلوب التعجب من غير لفظه ، وهي المعنونة لها بـ "الدلالة المقاربة" ، وتشمل هذه الدلالة في سورة البقرة ما يلي :

- ١- دلالة الحروف على التعجب : وذلك مثل حروف الاستفهام .
 - ٢- دلالة الأسماء على التعجب : وذلك مثل لفظ الشك .
 - ٣ - دلالة الأفعال على التعجب : وذلك مثل الضحك وضحك الوجه .
- الحروف المراد منها التعجب: الهمزة :** وهي للاستفهام ، وتدخل على الإثبات فتفيد معنى التعجب ^{٤٠} .
- وقد جاءت للتعجب في مواضع من كتاب الله تعالى ، كقوله : { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ } .
- قال الزمخشري في بيان الهمزة : " الهمزة للإنكار والتوبيخ أو للتعجب من حالهم " ^{٤١} .
- وفي قوله تعالى : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ } .

قال الطاهر بن عاشور : " واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ "٤٢. كما جاءت الهمزة داخلية على الإثبات لتعطي معنى التعجب وذلك كقوله تعالى : { أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالدينِ } .

قال أبو السعود : " تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها ، وإيدان بأفهامها من الشناعة والغرابة ، بحيث يجب أن يراها كل من يتأق من الرؤية ويقضي منها العجب "٤٣. قال الطاهر بن عاشور : " الاستفهام مستعمل في التعجب من حال المكذبين بالجزاء ، وما أورثهم التكذيب من سوء الصنيع . فالتعجب من تكذيبهم بالدين وما تفرع عليه من دع البيت وعدم الحظ على طعام المسكين "٤٤.

قال السيوطي : " إذا دخلت على رأيت - يعني الهمزة - امتنع أن تكون من رؤية البصر أو القلب وصارت بمعنى : أخبرني "٤٥. وكذا في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ }

قال الرازي : " ألم تر فهي كلمة يوقف بها المخاطب على تعجب منها ، ولفظها لفظ الاستفهام ". كما جاءت في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أُنْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ } .

قال الزمخشري: " ألم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من أهل الكتاب وأخبار الأولين ، وتعجب من شأنهم. "٤٦

قال الطاهر بن عاشور في بيان معنى الرؤية : " واعلم أن تركيب (ألم تر إلى كذا) إذا جاء فعل الرؤية فيه متعديا إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون رآه ، كان كلاما مقصودا منه التحريض على علم ما عدي إليه فعل الرؤية ، وهذا مما اتفق عليه المفسرون ولذلك تكون همزة الاستفهام مستعملة في غير معنى الاستفهام بل في معنى مجازي أو كناي من معاني الاستفهام غير الحقيقي ، وكان الخطاب به غالبا موجها إلى غير معين ، وربما كان المخاطب مفروضا متخيلا " .

كيف : اسم استفهام يسأل به عن الأحوال "٤٧ ، وقد ترد على جهة الشرط كما في قوله تعالى : { يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ } "٤٨.

قال الله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ }

قال الفراء في معناها : هي " على وجه التعجب والتوبيخ ، لا على الاستفهام المحض ، أي : ويحكم كيف تكفرون ! "٤٩

وقال الزمخشري : " معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك : أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو إلى الإيمان ، وهو الإنكار والتعجب "٥٠. قال القرطبي : " وكان سبيلها - أي كيف - أن تكون ساكنة ، لأن فيها معنى الاستفهام الذي معناه التعجب فأشبهت الحروف ، واختير لها الفتح لحفته ، أي هؤلاء ممن يجب أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة "٥١.

وكان سياق الذي أتت فيه (كَيْفَ) يدل على التعجب من الكفار ؛ لأنهم جحدوا وجود الله ، وعبدوا معه غيره ، وهو الذي خلقهم من العدم قبل أن يكونوا شيئا ، ثم أماتهم في الدنيا ، ثم هو يوم القيامة يبعثهم "٥٢ فقد أخبر الله عنهم إمامتين ، وإحيائين " الإمامة الأولى هي كونهم نطفًا وعلقًا ومضغًا ، والإمامة الثانية هي موتهم عند انقضاء آجالهم في الدنيا ، والإحياء الأولى نفخ الروح فيهم وإخراجهم أحياء من بطون أمهاتهم ، والإحياء الثانية بعثهم من

قبورهم أحياء يوم القيامة " ٥٣ ، وكان الشرك بالله أحق من أن يتعجب منه، وأن يكون محلاً للاستغراب؛ لأنه مخالف لشكر النعم " ٥٤ .

١ - دلالة الأسماء جاء التعجب في سورة البقرة على أساليب متنوعة ، فقد جاء ذكر بعض الأسماء التي

تدل على التعجب من غير لفظه ، وهي :

١ - سبحان : التسبيح هو : قال ابن عباس رضي الله عنه - : " تنزيه الله نفسه عن السوء " ٥٥ .

وهذه الكلمة تدل على التنزيه لله سبحانه ، وعلى التعجب من الشيء .

قال القرطبي : " من تعجب من شيء قال : سبحان " ٥٦ كما أن العرب يقولون هذه الكلمة عند التعجب ، كما جاء في لسان العرب : " والعرب بقول سبحان من كذا إذا تعجبت منه " ٥٧ . وتساءل الزمخشري عن استعمال كلمة (التسبيح) في التعجب فقال : " ما معنى التعجب في كلمة التسبيح ؟ قلت : الأصل في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ، ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه " .

وقد جاء في سورة البقرة استعمال هذه الكلمة للتعجب، كما أخبر الله عن ملائكته حينما قالوا : { قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } . قال البغوي : " لم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل ، بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة فيه " ٥٨ .

التعجب المضاف إلى الأنبياء (عليهم السلام) :

جاء التعجب على لسان أنبياء الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى، وخاصة منها في سورة البقرة وكان سبب التعجب يختلف من نبي إلى آخر ، فموسى عليه السلام تعجب من قومه مرات عديدة ، يختلف سبب التعجب من مرة إلى أخرى ، وهكذا إبراهيم عليه السلام ، وزكريا عليه السلام ، ومريم عليها السلام .

التعجب المضاف إلى موسى (عليه السلام) :

حكى الله لنا في كتابه الكريم قصص كليلة موسى عليه السلام مع قومه ، وما كان بينه وبينهم من مواقف تبرز صبر هذا النبي الصالح ، على أولئك القوم المعاندين المتعنتين ، مما جعل موسى عليه السلام يستغرب عليهم ، وينكر أفعالهم ، ويقوم بتوبيخهم ، وإن أولى ما يطالعنا في سورة البقرة هذا التعجب المضاف إلى موسى عليه السلام بشأن طلب قومه أن يستبدل لهم المن والسلوى بما تخرج الأرض من ثمراتها .

قال الله تعالى : { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا } .

أنعم الله تعالى على قوم موسى بالمن والسلوى ، وهما معامان نافعان للأبدان ، فلم يرضوا بهما ، ولم يشكروا الله عليهما أن جعل طعامهم يأتيهم من غير كلفة أو مشقة مع ما فيهما من المنفعة ، فقالوا لموسى { وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلِهَا } ،

فتعجب موسى عليه السلام من طلبهم للأدنى دون الأعلى فقال لهم : { قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ }.

قال الطاهر بن عاشور : " من كلام موسى وقيل من كلام الله وهو توبيخ شديد لأنه جرده عن المقنعات وعن الزجر ، واقتصر على الاستفهام المقصود منه التعجب فالتوبيخ " ٥٩ .

التعجب المضاف إلى الملائكة :

وهذا في قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ } .

لما أعلم الله الملائكة بأنه سيجعل في الأرض قوما يخلف بعضهم بعضا ، تعجبت الملائكة وسألت سؤال استرشاد لا سؤال اعتراض : { قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } .

قال العلامة ابن عثيمين : " واستفهام الملائكة للاستطلاع والاستعلام ، وليس للاعتراض " ٦٠ .
فالملائكة عباد مكرمون ، لا يعصون الله ما أمرهم ، فلما أخبرهم الله بأنه سيكون هناك من يفسد في الأرض تعجبوا واستنكروا ذلك ٦١ .

وقد كان سبب تعجب الملائكة وسؤالهم " لبيان شدة مفسدة القتل ، وهذا بحسب ظنهم أن الخليفة المجمعول في الأرض سيحدث منه ذلك ، فترهوا الباري عن ذلك ، وعظموه ، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة " ٦٢ . إن كان المراد بالخليفة آدم عليه السلام ، فكيف تخشى الملائكة القتل والإفساد في الأرض ؟ أجاب الشيخ الشنقيطي فقال : " ومعلوم أن آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ليس ممن يفسد فيها ولا ممن يسفك الدماء .. ويمكن الجواب عن هذا بأن المراد بالخليفة آدم ، وأن الله أعلم الملائكة أنه يكون من ذريته من يفعل ذلك الفساد وسفك الدماء ، فقالوا ما قالوا ، وأن المراد بخلافة آدم الخلافة الشرعية ، وبخلافة ذريته أعم من ذلك ، وهو أنهم يذهب منهم قرن ويخلفه قرن آخر " ٦٣ .

مقاصد التعجب في سورة البقرة

لقد كان في إيراد التعجب وأسلوبه في سورة البقرة فوائد كثيرة ، ومقاصد مهمة ، حفل بها التعجب في ألفاظه وسياقاته في آيات كتاب الله ، ومن تلك المقاصد :

تقرير التوحيد

وإن القرآن الكريم كله جاء تقريراً لهذا الأمر العظيم ، والمطلب الكبير الذي من أجله خلق الله الإنس والجن ، كما قال الله تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، وقد أختصت السور المكية بإثبات ذلك ، وقد جاء في ألفاظ التعجب تقرير لهذا الأمر ، تارة بإبطال آلهة الكفار ، وأن الكفر لا ينبغي في حق الله ، وتارة بلفت الناس إلى مظاهر القدرة الإلهية وأنه المستحق للعبادة دون سواه ، وسأقتصر منها على مقصد التعجب في تقرير التوحيد بتذكير الناس إلى مظاهر القدرة ، وبديع الصنع .

١ - قال الله تعالى : { كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَفْوَاثًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } .
أي : كيف يحصل منكم الكفر بالله ؛ الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميتكم عند استكمال آجالكم ؛ ويجازيكم في القبور ؛ ثم يحييكم بعد البعث والنشور ؛ ثم إليه ترجعون^{٦٤} .
وكيف يحصل منكم الكفر بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين^{٦٥} ، وجاءت كيف لتدل على استفهام في معنى التعجب ، وهذا التعجب للمؤمنين ، أي : اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون ، وقد ثبتت حجة الله عليهم^{٦٦} ، وإنكار الواقع واستبعاده والتعجب منه^{٦٧} ، وإن هؤلاء جدير بـ " أن يتعجب منهم حين كفروا وقد ثبتت عليهم الحجة " ^{٦٨} .

٢ - قال الله تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ }
قال البغوي في معنى الآية : " هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي : خاصم و جادل ، وهو نمرود ، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية ؟ " .
ومعنى ألم تر : تعجب من محاجة نمرود في الله ، وكفره به أن آتاه الله الملك^{٦٩} ، والجمهور على أن في الكلام معنى التعجب^{٧٠} . وهذا استدلال مسوق لإثبات الوحدانية لله تعالى وإبطال إلهية غيره لانفراده بالإحياء والإماتة ، وانفراده بخلق العوالم المشهودة للناس^{٧١} .

الرد على الكفار واليهود والنصارى

وذلك بإبطال مزاعمهم ، وآرائهم الفاسدة في اتخاذ الولد لله تعالى ، والتعجب من مطالبهم .
١ - { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ }
{ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا } : القائل هم الكفار أو اليهود ، أو النصارى .
وجمع شتات هذه الأقوال الإمام ابن كثير حيث قال :
" اشتملت هذه الآية الكريمة ، والتي تليها على الرد على النصارى - عليهم لعائن الله - وكذا من أشبههم من اليهود ومن مشركي العرب ، ممن جعل الملائكة بنات الله ، فأكذب الله جميعهم في دعواهم وقولهم : إن الله ولدا^{٧٢} .
{ سُبْحَانَهُ } : تنزيه من اتخاذ الولد وتعجب ممن يقول ذلك^{٧٣} .
{ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } : خالقه ومالكة ، ومن جملة الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون^{٧٤} .

التسليية والعزاء

التسليية هي : ما يسلي الإنسان من أحزانه وكمدته^{٧٥} ويراد بالتعزية : التصبر والتأسي^{٧٦} .
والتسليية والعزاء في حق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، لما كان يبذل في دعوته الغالي والنفيس ، فكان لا يجد في مقابلة ذلك إلا التعنت والعناد ، والتكذيب والنفور ، ولا يقف الأمر عند ذلك ، بل قد يُتهم في شخصه - صلى الله عليه وسلم - ، مما يجعله يحزن ويغتم لذلك ، وتذهب نفسه حسرات على من لم يؤمن ، فكان الله يقص عليه القصص ليعلمه أن طريق الدعوة محفوف بالمكاره والمشاق الصعاب ، وأن التكذيب قد لحق بالأنبياء

السابقين ، بدءاً بما جرى لنوح مع قومه وقد لبث معهم ما لبث ، ثم عاداً واستكبارهم، وثمود أصحاب الناقة ، ولوط وشعيب ، من الأنبياء الذين شاركوه الهَمَّ ، وقاسموه مشاق الدعوة ، وهذا من أعظم أهداف القصص القرآني الكريم . قال الرازي مبيناً فوائد قصص الأنبياء: "أحدّها التنبيه على أن إعراض الناس عن قبول هذه الدلائل والبيّنات ليس من خواص قوم محمد عليه الصلاة والسلام بل هذه العادة المذمومة كانت حاصلة في جميع الأمم السالفة ، والمصيبة إذا عمت خفت ، فكان ذكر قصصهم وحكاية إصرارهم على الجهل والعناد يفيد تسليّة الرسول عليه السلام وتخفيف ذلك على قلبه ...^{٧٧}"

قال الله تعالى فيما أنكره عاد على قومه :

قال الألوسي : " أي قال كل قوم من أولئك الأقوام الذين كفروا في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات ، منكرين لكون الرسول من جنس البشر ، أو متعجبين من ذلك أبشر يهودنا ، كما قالت اليهود : { فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه }^{٧٨} .

نتائج البحث

أذكر فيما يلي أهم النتائج التي توصلت إليها :

- ١- معرفة سورة البقرة بحيث اسمها وسبب نزولها وعدد آياتها ومقاصدها وفضائلها .
- ٢- أن القرآن الكريم جرى على أساليب العرب في كلامهم ، ومنه أسلوب التعجب ، فتقدم معرفة التعجب لغة واصطلاحاً لتوضيح معنى التعجب ومفهومه .
- ٣- من إعجاز القرآن وفصاحته أن تنوعت أساليبه ، فتارة يأتي التعجب بلفظه الصريح ، وأخرى بحروف أو أسماء وغيرها .
- ٤- يطلق التعجب على استغراب شيء ما ، ويختلف هذا الاستغراب من أمر إلى آخر .
- ٥- إضافة التعجب إلى الأنبياء عليهم السلام ، و الملائكة . مثلاً، جاء التعجب على لسان أنبياء الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتاب الله تعالى ، وخاصة منها في سورة البقرة .
- ٦- أن التعجب في سورة البقرة جاء لأغراض عديدة ، منها تقرير التوحيد وإقامة الحجة على الكافرين .
- ٧- اختلاف أنظار المفسرين على دلالة آيات التعجب وسياقاتها المختلفة .

الهوامش

- ١ - سورة الشعراء ٢٦ : ١٩٢-١٩٥ .
- 2 - البقاعي ، برهان الدين، مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور، ج ٢، ص ٦
- ٣ - سورة البقرة ٢ : ٢٨١
- ٤ - البقاعي، مصادد النظر للإشراف على مقاصد السور ، ج ٢، ص ٥

- ٥ - سورة البقرة ٢ : ١
- ٦ - سورة البقرة ٢ : ٧
- ٧ - سورة البقرة ٢ : ١١٤
- ٨ - سورة البقرة ٢ : ٢٣٥
- ٩ - سورة البقرة ٢ : ٢٥٧
- ١٠ - سورة البقرة ٢ : ٢١٩
- ١١ - سورة البقرة ٢ : ٢١٩
- ١٢ - سورة البقرة ٢ : ٢٥٥
- ١٣ - سورة البقرة ٢ : ١١
- ١٤ - سورة البقرة ٢ : ١٩٧
- ١٥ - سورة البقرة ٢ : ٢٠٠
- 16 - البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، ٢/٦-٧
- 17 - البقاعي، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، ٢/٩
- ١٨ - أنس بن مالك، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي، الموطأ ، كتاب القرآن ، باب ما جاء في سورة البقرة ج ١، ص ٢٠٥
- ١٩ - الآية : ١-٥
- ٢٠ - الآية : ٧-٦
- 21 - الترمذی، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، صحيح الترمذی ، كتاب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة البقرة وآية الكرسي ٢٣٢/٤ . حديث رقم ٣٠٣٨ عن أبي هريرة مرفوعا وقال : حديث غريب . ومورد الظمان في زوائد ابن حبان ص ٤٥٧ حديث رقم ١٧٢٧ عن سهل مرفوعا . وسنن الدارمي : كتاب فضائل القرآن ، باب في فضل سورة البقرة ٣٢١/٢ حديث رقم ٣٣٨٠ موقوفا على ابن مسعود .
- ٢٢ - الرَّائِبُ الْأَصْفَهَانِي ، الحسين بن محمد بن المفضل، مفردات ألفاظ القرآن ، ص ٥٤٧، مادة : عجب ، ط : دار القلم ، تحقيق : صفوان داودي ، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، ج ٣، ص ٤٠
- ٢٣ - لهروي، محمد بن أحمد بن الأزهری ، أبو منصور، تهذيب اللغة ، ط : دار إحياء التراث ، ج ١، ص ٢٧٤
- ٢٤ - ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي ، لسان العرب، ط : دار صادر . ج ١، ص ١٨٥
- ٢٥ - إبراهيم مصطفى وآخرون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط ، ج ٢، ص ٥٨٤
- ٢٦ - الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين ، ط : مكتبة الهلال ، ج ١، ص ٢٣٥
- ٢٧ - المرجع السابق ، وينظر : معجم ألفاظ القرآن ، من إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ج ٤، ص ٢٩٢

- ٢٨ - الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف، التعريفات، باب العين، ط: دار الكتب العلمية، ص ١٥٠
- ٢٩ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، عند قوله تعالى: {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} الصف: ٣، ج ٣، ص ٣٢٣
- ٣٠ - البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، معالم التنزيل عند قوله تعالى: {وإن تعجب فعجب قولهم} الرعد: ٥ ج ٤، ص ١٢٠
- ٣١ - القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن ج ٩، ص ٢٩٨
- ٣٢ - ابن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٨٤
- ٣٣ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، باب: الأساري في السلاسل، ج ٤، ص ٧٣، رقم الحديث: ٣٠١٠.
- ٣٤ - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط: دار ابن الجوزي، ص ٥٩٣
- ٣٥ - سورة الصافات: ١٢
- ٣٦ - لسان العرب، ج ١، ص ١٨٥.
- ٣٧ - معالم التنزيل، ج ١، ص ٢٣٥، التحرير والتنوير، ط: دار سحنون، ج ١، ص ٢٦٥
- ٣٨ - سورة البقرة: ٢، ٢٠٤، و مفردات ألفاظ القرآن، ص ٥٤٧.
- ٣٩ - سورة البقرة: ٢، ٦٩، و الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١، ص ٤٧٧
- ٤٠ - السيوطي، عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، ج ٣، ص ١٠٠٦.
- ٤١ - سورة البقرة: ٢، ٤٤، و الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ١٤٩.
- ٤٢ - سورة البقرة: ٢، ٦١، و ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٢٥.
- ٤٣ - أبو السعود، محمد أبو السعود أفندي بن محيي الدين، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تفسير أبي السعود، ج ٧، ص ٣٦.
- ٤٤ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢، ص ٥٦٤.
- ٤٥ - السيوطي، الإتقان، ج ٣، ص ١٠٠٨.
- ٤٦ - سورة البقرة: ٢، ٢٥٢، و سورة البقرة: ٢، ٢٤٣، و الزمخشري، الكشف، ج ١، ص ٤٧٥.
- ٤٧ - السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ج ١، ص ١٠٨، وينظر: مغني اللبيب لابن هشام، بتحقيق: د. عبد اللطيف الخطيب، ج ٣، ص ١٣٢
- ٤٨ - الإتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١١٥٢
- ٤٩ - سورة البقرة: ٢، ٢٨، و الفراء، الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٣.

- ٥٠ -الكشاف، ج١، ص١٢١
- ٥١ -الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٤١ .
- ٥٢ -ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص٢١٢ ، معالم التنزيل، ج١، ص٧٧ .
- ٥٣ - الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ط : دار سحنون، ج١، ص٢٧٣ .
- ٥٤ -ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عبد الرحمن ، لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج١، ص٤٨
- ٥٥-ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تفسير ابن أبي حاتم، ج١، ص١٨ ، وينظر : مفردات الراغب ، ص : ٣٩٢ ، كتاب : السين .
- ٥٦ -الجامع لأحكام القرآن، ج١٥، ص٢٥٦
- ٥٧ -لسان العرب، ج٢، ص٤٧٠ .
- ٥٨ -سورة البقرة : ٣٢ ، و معالم التنزيل، ج١، ص٧٩ .
- ٥٩ -سورة البقرة : ٢ : ٦١ ، و سورة البقرة : ٢ : ٦١ ، و التحرير والتنوير، ج١، ص٥٢٣ .
- ٦٠ - سورة البقرة : ٢ : ٣٠ ، تفسير سورة الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ، ص ٧٤ .
- ٦١ - انظر : معالم التنزيل، ج١، ص٧٩، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٧٤ .
- ٦٢ -تفسير السعدي ، ص ٤٨ .
- ٦٣ -أضواء البيان ، ج١، ص٢١
- ٦٤ -سورة الذاريات : ٥٦ ، سورة البقرة : ٢ : ٢٨ ، و تفسير السعدي ، ص ٤٨ .
- ٦٥ -معالم التنزيل، ج١، ص٧٧ .
- ٦٦ - ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير، ج١، ص٣٩ .
- ٦٧ - تفسير أبي السعود، ج١، ص٩٨ .
- ٦٨ - الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٤٨ .
- ٦٩ - سورة البقرة : ٢ : ٢٥٨ ، الكشاف، ج١، ص٣٠٤ .
- ٧٠ - الآلوسي ، محمود شهاب الدين أبو الثناء الحسيني الآلوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ج٢، ص ١٩ .
- ٧١ - التحرير والتنوير، ج٢، ص٢٠٠ .
- ٧٢ - سورة البقرة : ٢ : ١١٦ ، و تفسير ابن كثير، ج١، ص٣٩٦ .
- ٧٣ - البحر المحيط، ج٦، ص٨٥ .
- ٧٤ - الكشاف، ج١، ص١٨٠
- ٧٥ - عمدة الحفاظ للسمين الحلبي، ج٢، ص٢٥١ ، فصل السين واللام ، وينظر : كتاب العين للخليل ، ج٧، ص٢٩٧

- ۷۶ - مفردات ألفاظ القرآن ، ص ۵۶۵ کتاب : العين ، وينظر : تحذیب اللغة للأزهري، ج ۳، ۶۲ ، المعجم الوسيط، ج ۲، ۵۶۲.
- ۷۷ - الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ج ۷، ص ۱۱۹
- ۷۸ - سورة القمر : ۲۴ ، و روح المعاني، ج ۱۴، ص ۳۱۷.